

The Existential Status of Women Between Islamic and Western Thought: A Critical Analytical Study

Adnan Hashim

Assistant Professor of Islamic Jurisprudence and Knowledge, Al-Mustafa International University, Iraq.

E-mail: a.alhusseini@aldaleel-inst.com

Summary

The topic of women and their existential status has received significant attention from thinkers, philosophers, and researchers, both ancient and modern, in the East and the West. It has been a subject of contention among proponents of various epistemological approaches. Philosophers, mystics, and religious figures have each contributed their perspectives, formulating theories and ideas aligned with their respective methodologies. This article explores some of these foundational perspectives, discussing the Christian philosophical heritage and its stance on women, shaped by its reliance on biblical texts. Subsequently, the article engages with the Islamic perspective, seeking to answer questions about the true status of women and to establish a coherent theoretical framework that aligns with practical mechanisms capable of translating into daily behavioral realities. The study explicitly deals with the issue of gender equality in existence, intellectual and cognitive capabilities, and political participation. It also highlights the reasons behind the perpetuation of a condescending view of women. The method employed combines descriptive and analytical approaches while incorporating critical analysis of the views discussed.

Keywords: Women, Men, Equality, Existential Status, Islamic Thought, Western Thought.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 3, PP. 123-146

Received: 03/09/2024; Accepted: 10/10/2024

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)



المكانة الوجودية للمرأة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي.. دراسة تحليلية نقدية

عدنان هاشم

أستاذ مساعد في الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.

البريد الإلكتروني: a.alhusseini@aldaleel-inst.com

الخلاصة

أخذ موضوع المرأة ومكانتها الوجودية اهتماماً بارزاً في أعمال المفكرين والفلاسفة والباحثين من القدماء والمحدثين، سواءً في الشرق أم في الغرب، وكان مثاراً للاختلاف بين أصحاب المناهج المعرفية المختلفة، فكلٌّ من الفلاسفة والعرفاء ورجال الدين أدلوا بدلائهم وبلوروا نظريات وأفكاراً متنسقةً مع مناهجهم. والمقال يتطرق إلى بعض هذه الآراء الأساسية، مع التعرّيج على التراث الفلسفي المسيحي ومدى تأثيره بالكتاب المقدس في نظريته للمرأة، ثمّ كان لا بدّ من طرح إجابة الفكر الإسلامي على سؤال حقيقة مكانة المرأة وضرورة تحديد نظري متناسق مع آليات عملية تتحوّل إلى واقع معاش سلوكي يومي في كلّ الاتجاهات. وأجاب المقال بشكل صريح على قضية مساواة المرأة للرجل في الوجود والقابليات المعرفية والذهنية والمشاركة السياسية، مشيراً إلى أسباب النظرة الاستعلائية على المرأة، وكلّ ذلك وفق المنهج الوصفي تارةً والتحليلي تارةً أخرى، مع تفعيل المنهج النقدي للآراء.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الرجل، المساواة، المكانة الوجودية، الفكر الإسلامي، الفكر الغربي.

مجلة الدليل، 2024، السنة السابعة، العدد الثالث، ص. 123 - 146

استلام: 2024/09/03، القبول: 2024/10/10

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف



المقدمة

إنَّ المركزية الذكورية تفرض نفسها في الذهنية العامّة للعلاقات بين الرجل والمرأة من خلال البناء البيولوجي للجسد للطرفين، وأصبح ذلك جزءاً أوليّاً في التربية الاجتماعية، وأضحت العلاقة الجنسية تعبيراً عن الرغبة في الهيمنة. وكم فرق بين هذا الفهم الحسّي للعلاقة بين الجنسين وبين الفهم العقلي والوحياني الذي يعبر عنه القرآن الكريم بقول الباري: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: 187]، فنلاحظ مدى الحميمية في تعبير اللباس الذي يحمل دلالة الحماية والاحتضان والحنان والعطف من كلّ طرف تجاه الطرف الآخر، فهو تعبير في غاية الروحانية، وهناك دلالة رمزية واضحة في الابتداء بالنساء أولاً في قوله تعالى: ﴿هُنَّ﴾.

إنَّ بعض الفلاسفة شاركوا في عملية الازدراء بالمرأة، فلقد انعكست آراء أرسطو الوجودية على المرأة، ليس من حيث مرتبتها الوجودية المتدنيّة نسبةً إلى الرجل فحسب، بل وعلى حياتها السياسية أيضاً، فلا يحقّ للمرأة ممارسة السياسة؛ لأنّ الجانب العاطفي في المرأة متغلّب على الجانب العقلي، وهذا من فعل الطبيعة التي جعلت الإناث ذوات عاطفة متغلّبة.

إنَّ الجنس والكمون الشهواني هو الذي يحرك أفكار بعض الفلاسفة ورجال الدين في الغرب نحو المرأة ووضعتها في النظام الإنساني العامّ، وفقاً لذلك نستطيع معرفة حقيقة بعض النصوص التي أطلقها بعضهم. ومما يساعد على ذلك تلك الفكرة التي تقول إنّ المرأة أصل الخطيئة، وهي الفكرة التي سيطرت ولم تزل تسيطر على الفكر الديني المسيحي واليهودي، بل وحتى العقلية العامّة الإسلامية تأثرت بها.

وقد تطرّق المقال إلى دور العرفاء المسلمين في بيان مكانة المرأة في عالم الوجود، ولا سيّما أنّهم اعترفوا لها بمقام الخلافة الذي يتضمّن في الأدبيات الدينية الإسلامية جميع أبعاد الإنسان.

وعندما نبحت الفكر الإسلامي نجد الإنصاف لها ضمن النصوص الدينية، فالخطاب الإلهي في القرآن الكريم تميّز بصفة الشمولية والإطلاق للمخاطب والمكلف دون النظر إلى نوع الجنس. ولو مررنا بشكل سريع على الآيات التي تخصّ جانب التكليف الشرعية أو الجوانب العقدية، وقضيّة الإيمان أو اجتناب الشرور والمعاصي والجوانب الأخلاقية وطرق التكامل الإنساني والعروج في مراتب السعادة والتماس الرضا الإلهي، لتبيّن أنّها لا تختصّ بالرجل وحده أو بالمرأة وحدها.

ومن خلال ذلك نجد أنّ القرآن الكريم - وهو كلام الله ﷻ - قد ردّ بوضوح وبشدّة على عقائد الأمم السابقة، وانتقد ما كانوا يعتقدونه بشأن المرأة، وما نتج عن هذه العقائد من مأساة حقيقية للمرأة، وهذا يدلّ على تقدّم الإسلام تقدّماً واضحاً، ممّا أرجع المرأة إلى وعيها بإنسانيتها، وأنّها تستطيع أن تعرج نحو الكمال المفترض للبشرية، سواء من الناحية الدينية أو الدنيوية، وهذه

الفروق بين الجنسين ما هي إلا إرادة إلهية داخلية ضمن النظام الأصلح في الحكمة الإلهية. والنقطة الأساسية التي يركّز عليها المقال المساواة الوجودية بين الرجل والمرأة، والقابليات المعرفية والذهنية، وتفنيد فرضية الاستعلاء أو النظرة الاستعلائية على المرأة التي رفضها الدين، وإنّ ذلك يمثّل مخالفة صريحة للشريعة والفكر الإسلامي.

المبحث الأول: المفردات الأساسية في البحث

أولاً: المكانة الوجودية

المقصود بالمكانة الوجودية هي ذلك المقام الذي جعله الخالق للمرأة في عالم التكوين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: 13]، فلكل مخلوق وضعه المعين في نظام الحلقة الإلهية، وكلٌ منها يؤدي فيه وظيفته بحسب القدرات والقابليات التي يحتوي عليها، سواءً كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو غير ذلك، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه: 50]. ولا شك أن الهداية نوعان: تكوينية وتشريعية، والتكوينية - والتي هي يهمننا بحثها في المقام - ما به يهتدي كل نوع إلى كماله الخاص به المتسق مع غيره، والمكمل للآخرين على سبيل الفعل والانفعال والتأثير والتأثر [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 7، ص 193]، وتتضمن أيضاً تلك القوانين الطبيعية المتحكمة بالوجود [انظر: مكارم الشيرازي، ج 1، ص 73]. فهناك مقامان للمرأة: مقام الخلافة الذي تشترك فيه مع الرجل، ومقام الأنوثة المختص بها والمتضمن استحقاقاتٍ نوعيةً ووظيفيةً تشارك فيها الرجل تارةً وتفرق عنه أخرى. والمقال يحمل أيضاً هذين المقامين المعبرين عن تلك المكانة الوجودية.

ثانياً: الفكر الإسلامي

إنّ الفكر بشكل عام عبارة عن تفاعل بين المدخلات والمخزون من المعلومات، ولم تشر المعاجم اللغوية في تعريفها للفكر سوى أنّه إعمال للخاطر. [ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 3451] وهذا لا يعبر عن المقصود في هذا البحث؛ لأنّ المراد هنا أن يكون للإنسان فاعلية في ما يريد إحضاره إلى الذهن، أي هناك مؤونة وتعمل من أجل إحضار ذلك الأمر الذي يطلق عليه الفكرة، ثمّ يقوم بإعمال أدوات الفكر؛ حتّى يخرج بنتيجة هي الفكر. فالفكرة قبل إعمال الأدوات والقواعد تكون أوليّة يشوبها الغموض، أو هي ما يطلق عليها المشكل في المنطق أو المجهول، ونحن عبرنا بالغموض؛ لأنّها ليست مجهولةً من جميع الأبعاد؛ لأنّ ابن سينا يصرّح بأنّ الإنسان لا يمكن له أن يصل إلى العلم بالشياء الذي يحمله دون معلومات تتطلّب ترتيباً معيّناً وصفه بالترتيب الواجب حتّى ينتقل من المجهول إلى المعلوم [انظر: ابن سينا، المنطق، ج 1، ص 3]. ولا بدّ أن تكون عملية التفكير نتاج تفاعل بين مصدر المعلومة والعملية الذهنية، والفكر الإسلامي ناتج الاعتماد على القرآن والسنة؛ باعتبارهما المصدر المعلوماتي للمفكر الإسلامي، ثمّ إنّه لا يخفى أنّ كلّ عملية تفكير تخضع لمنهج معرفي ما، والمقصود بالبحث هو الفكر المستند على القرآن والسنة، مع الأخذ بما يمليه البرهان العقلي.

ثالثًا: الفكر الغربي

حينما يطلق المصطلح التركيبي "الفكر الغربي" فيقصد به ما أنتجه الغرب من أيام اليونان، وسوف نشير إلى ما أنتجه أرسطو فيما يخص موضوع البحث فقط، ثم ما صدر عن الفكر الفلسفي المسيحي القديم.

المبحث الثاني: التكامل الوظيفي بين الرجل والمرأة

المطلب الأول: الغاية الوظيفية في التباين الجسدي للرجل والمرأة

إن التفكير الحسي يمثل نمطًا من أنماط التفكير المعرفي، وعلى الرغم من أهميته إلا أنه يوقر جانبًا سطحيًا من المعرفة، والرؤية الناتجة عن هذا التفكير تفسّر العالم تفسيرًا ماديًا بعيدًا عن الميتافيزيقيا، ويحتل مستوى متقدمًا على مستوى العقلين النظري والعملي في الدراسات التجريبية. ونمط التفكير الحسي هو تفكير سطحي عامي يحتل المساحة الأكبر من عقول عوام الناس وخواصهم بدرجات تشكيكية متفاوتة، فيريد الحسي أن يعرف كل شيء بالحس، وينظر لكل شيء بالحس، ويفسّر كل شيء تفسيرًا حسيًا ماديًا، ومنها مجموعة العلاقات الإنسانية ولا سيما علاقة الرجل بالمرأة. فلقد فسّروا هذه العلاقة على أساس قاعدة الجسد والاختلاف الجسدي، فأضحت العلة الغائية الإلهية لهذا الاختلاف غائبة، وحلّت محلّها النظرة الاستعلائية الذكورية، وفسّروا رقة المرأة ضعفًا، وخشونة الرجل قوّة جبارة استعبادية. وانعكس هذا الفهم بين القوي والضعيف على تفسير مجمل الكيان الاجتماعي من أسرة ودولة ونظام سياسي واقتصادي وغير ذلك.

وبعدّ الجسد معيارًا أساسيًا يكرّس من خلاله النظام الاجتماعي الهيمنة الذكورية، وذلك من خلال التمييز البيولوجي بين الجنسين، أي بين الرجل والمرأة، وبالتحديد بين الجسد الذكوري والجسد الأنثوي، وهذا ما يؤكده بيار بورديو (Pierre Bourdieu) الذي ذهب إلى أنّ الفارق الجسدي بين المرأة والرجل تحوّل

إلى معيار للأفضلية في الحياة العامة. [محمد بن سباع، نقد الخطاب الذكوري عند بيار بورديو، ص 103]

فالمركية الذكورية تفرض نفسها في الذهنية العامة للعلاقات بين الرجل والمرأة من خلال البناء البيولوجي للجسد للطرفين، وأصبح جزءًا أوليًا في التربية الاجتماعية، وأضحت العلاقة الجنسية تعبيرًا عن الرغبة في الهيمنة. وثمة فرق بين هذا الفهم الحسي للعلاقة بين الجنسين وبين الفهم العقلي والوحياني الذي يعبر عنه القرآن الكريم بقول الباري: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: 187]، فنلاحظ مديات الرقي في تعبير اللباس الذي يحمل دلالة الحماية والاحتضان والحنان والعطف من كلّ طرف تجاه الطرف الآخر، فهو تعبير في غاية الروحانية، وهناك دلالة

رمزية واضحة في الابتداء بالنساء أولاً في قوله تعالى: ﴿هُنَّ﴾، ومعنى ذلك عدم اقتصار العلاقة بين الطرفين على الجانب البيولوجي والجنسي، بل هي أسمى من ذلك بكثير.

والآية الأخرى التي تفيض بالفهم الميتافيزيقي الغائي الإلهي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: 21] وهذه من آيات الإعجاز الاجتماعي والأسري في القرآن، فأشار إلى أن المرأة من نفس الرجل، والرجل من نفس المرأة، طالما أن الخطاب موجّه لجميع المؤمنين من الرجال والنساء، ثم استخدم السكن بما يحمل من دلالات الأمن والاطمئنان الروحي والمادي والهدوء النفسي، ثم بيّن القرآن أن هناك جعلاً تكوينياً للمودة والرحمة والحب والحنان، وبحسب السيد الطباطبائي فإن المرأة بما وهبها الله من عناصر اللين والرأفة تكون العامل الجوهرية في تكوين المجتمعات. [انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 4، ص 47]

إن الاختلاف البدني بين الجنسين هو اختلاف وظيفي تكويني، غايته سامية هي بناء حضارة الإنسان الإلهي الذي يحتاج إلى التكاثر على الأرض.

المطلب الثاني: الدور الاستخلافي لكل من الرجل والمرأة

إن الحياة على الأرض قائمة على أساس منهج الاستخلاف الإلهي للإنسان، وهذا الاستخلاف انحصر في الإنسان؛ لما يتضمنه من قيم لا توجد في كائن غيره، فهناك ما يشبه العقد الوجودي بين الخالق والإنسان. [انظر: الحاجي، جينالوجية كينونة الإنسان الكامل، ص 148]

إن السؤال الأساسي هو هل الاستخلاف منحصر في الرجل؟ وهل الذكورية لها دخالة في تقييد الخلافة الأنطولوجية العامة؟

وفي مقام الجواب نقول إنه لا يجد المتتبع هذا الأمر في الواقع، بل يجد العكس تماماً؛ لأن التنمية المستدامة الأنطولوجية لا تقتصر على الرجل، وللعرفاء في ذلك برهانهم المنطلق من رؤيتهم للعالم، ورؤيتهم التي تختلف عن غيرهم أثرت في نظرتهم للمرأة، فهم يرون أن نسبة الجنس للإنسان نسبة العرض للجوهر، ولا يؤثر هذا الاختلاف على مقام الخلافة لكل من الرجل والمرأة، فكل طرف يمثل تجلياً من تجليات الأسماء الإلهية، وبما أنه لا تكرر في الأسماء والصفات الإلهية، فهناك حتماً دور وجودي للمرأة متناسب مع الاسم الذي تجلّى فيها. [انظر: الراسخي، المرأة من خلال المعرفة الشهودية، مجلة المحجة، العدد 12]

إن الخلافة في الأرض ليست للشخص بل للشخصية، أي أن الخلافة لمقام الإنسانية، وهذا المقام يتساوى فيه الذكر والأنثى، ولقد أوضح الشيخ جوادي آملي بأن توجيه الخطاب لآدم بصيغة

المذكّر حول ما يخصّ الخلافة والسجود له لا يعني الاختصاص به دون حواء؛ وفقاً لذلك قال المولى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ الشامل للطرفين. [انظر: جوادي آملي، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص 154 و 155]

ولقد قسّم العرفاء مراحل السير والسلوك إلى أربع مراحل، وهي السفر من الخلق إلى الحق، والسفر من الحق إلى الحق بالحق، والثالث هو السفر من الحق إلى الخلق بالحق، والرابع من الخلق إلى الخلق بالحق، وفي الإنسان - سواءً كان رجلاً أو امرأة - المقتضي لسلوك هذه الطرق الأربعة، وإتّما الاستشكال يأتي في السفرين الثالث والرابع، المتضمنين للرجوع من الحق إلى الخلق، المعبرين عن النبوة والرسالة التي حرمت منها المرأة، مع أنّ هذين الطريقين يخصّان الولاية التي لا تفاوت فيها بين الرجل والمرأة، فالنبوة ليست من لوازم الرجوع من الحق إلى الخلق. [انظر: المصدر السابق، ص 323 - 325]

وبعبارة أخرى إنّ مسألة الحرمان من الرسالة التشريعية بما تتضمنه من جوانب تنفيذية شاملة للمرأة والرجل على السواء، طالما أنّ النبوة قد ختمت، وأمّا نيل الولاية فلا يقتصر على الرجال. وهذه المسألة تعرف زواياها إن جرى التعرّف على الإنسان في النظرية المعرفية الإسلامية، ومكانته في عالم الوجود، وقضية الخلافة التي ذكرنا جزءاً يسيراً منها تسلّط الضوء على مكانة الإنسان في عالم الوجود. ووفقاً لما مرّ فهناك خريطة إلهية يسير عليها كلّ من المرأة والرجل في توازن وجودي معبر عن غاية تكاملية بين الطرفين؛ من أجل إرساء الخلافة على الأرض.

المطلب الثالث: اشتراك المرأة والرجل في الامتحان والابتلاء الإلهي

إنّ الامتحان الإلهي والابتلاء وكّد الاستكمال غير مقتصر على الرجل، ونشاهد عياناً ووجداناً أنّ المرأة وقعت عليها سنّة الابتلاء والامتحان.

فما جرى على الأنبياء والأولياء عليهم السلام ⁽¹⁾ - ولا سيّما نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله [انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص 113؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج 2، ص 72]، وعلى أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام [انظر: الهلالي، كتاب سليم بن قيس، ص 416 وما بعدها] - قد جرى على سيّداتٍ مبجّلاتٍ كخديجة زوجة النبي صلى الله عليه وآله والسيدة آسية زوجة فرعون، والسيدة مريم العذراء، والسيدة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله، وابنتها السيدة زينب. فالابتلاء الذي واجهته السيدة مريم كنموذج للابتلاء الصعب [سورة مريم: 27 و 28] وكذلك حينما واجهت آسية زوجة فرعون الطغيان والظلم ودافعت عن حرية العقيدة بكلّ بسالة. [سورة التحريم: 11] والسيدة الزهراء فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، التي ما تزال مأساتها حاضرة في الأذهان؛ إذ جابهت

1- وكمثال على ذلك ما جرى لنبيّ الله أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿[سورة الأنبياء: 83 و 84].

الدكتاتورية والدوغمائية بجسدها الناحل الضعيف وثقافتها الإلهية الرصينة، وذهبت شهيدةً خالدةً وأعطت كل شيء لعقيدتها. [المصدر السابق، ص 218 وما بعدها؛ انظر: العاملي، مأساة الزهراء، ص 180].

إن الآيات القرآنية التي تخاطب البشرية بأنّ البارئ عز وجل ينزل البلاء والامتحان عليهم بأنواعه العديدة، أمثال الابتلاء بالخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات⁽²⁾، وبعبارة أخرى، الانسداد في الجانب الأمني والاقتصادي والاجتماعي والنفسي، يدخل القلق على النفس الإنسانية من جوانبها كافةً، فهذه الأمور لا تختص بالرجال، والصبر عليها من أجل الارتقاء في مراتب الكمال الوجودي ليس خاصاً بالرجال، بل هو للمجتمع عامةً من نساء ورجال، بل قد نجد أحياناً أنّ النساء أكثر معاناةً من الرجال، في مواجهة الانسداد الحياتي.

المطلب الرابع: مسألة المساواة بين الرجل والمرأة في الاستعداد الذهني

لقد ثار النقاش والجدل بين أهل الفكر حول هذه المسألة، ولا يخفى الإفراط والتفريط إزاءها، وما تزال القضية محل جدلٍ وأخذٍ وردٍّ.

إنّ الأمر مرتبط بالنظرة الوجودية لدور المرأة في الحياة؛ إذ إنّ هناك عدّة موضوعات مخترنة في اللاوعي الجمعي أو الاجتماعي، تشكّل بإجمالها وتفاصيلها النظرة العامة للمرأة.

وحقّ الرأي المخالف يلاحظ أنه ليس إلّا حالة ردّ فعل لما ذكرنا، فكأنّه يريد أن يثبت وجوده وإن استدعى تنظيره انحرافاً عن ثوابت الوضع الطبيعي للخلقة؛ إذ «شدّد الفكر النسوي الليبرالي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على عقلانية النساء وضرورة تعليمهنّ تعليمًا مساوياً لتعليم الرجال، متحدّياً التراث الفلسفي التقليدي الذي تغاضى عن استعدادات النساء العقلية، والتفت إلى وظيفتهنّ البيولوجية وقدرتهنّ على الإنجاب. وقد جاء التشديد على قدرات المرأة العقلية ليؤكد أنّهنّ مؤهلات لما كنّ يطالبن به من حقوق، كحقّ التعليم والتملك والعمل والتصويت. لكن بعد أن حازت النساء في القرن العشرين على هذه الحقوق وخضن مجالات العمل المختلفة، واجهتهنّ مشكلة جديدة لم تلتفت إليها النسوية الليبرالية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي مسؤوليتهنّ المزدوجة نتيجة عملهنّ خارج المنزل ودخله، إضافةً إلى الحمل والولادة وما يتبع ذلك من أعمال تتعلّق بتنشئة الأطفال ورعايتهم، وهي مسؤوليات تضطلع بها المرأة وحدها» [العزيمي، الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، ص 157].

2- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 155]؛ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْمَسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: 214].

إشكالية نقص العقل عند المرأة

إنَّ أهمَّ القضايا التي تخصَّ المرأة والتي لم ينتهِ الجدل حولها قضية عقل المرأة، ولقد عدَّ الشيخ مصباح اليزدي ما ذكر من نقص عقل المرأة مزاعم خالية، والأدلة المطروحة في هذا المجال ليست واضحة أو قطعية، وهناك تفسيرات لكلِّ منها. [مصباح اليزدي، أسئلة وردود، ص 352]

إنَّ إثبات نقص عقل المرأة يحتاج إلى دليل؛ إذ ستتبعه محاذير علمية وعقلية. ولكن يمكن القول إنَّ الاختلاف قد يكون على مستوى العقل العملي، وأمَّا في العقل النظري فهما متساويان وذلك من خلال التقريبين التاليين:

التقريب على مستوى العقل النظري

إنَّ العقل النظري هو مبدأ الإدراك عند الإنسان، سواءً كان الإدراك متعلقاً بالأمور النظرية، أي بما هو كائن، أو بالأمور العملية، بمعنى ما ينبغي أن يكون، وهو مشترك بين جميع أبناء البشر، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، ويمكن اثبات ذلك من خلال تقريب منطقي مفاده أنَّ القضية الموجبة الكلية نقيضها سالبة جزئية [المظفر، المنطق، ص 168] وبالتالي يمكن أن تكون القضية المطروحة كما يلي:

(كلُّ النساء ناقصات العقول)، نقيضها: (ليس بعض النساء ناقصات العقول).

وبذلك يتبيَّن أنَّ بعض النساء ناقصات العقول، وبالتالي تكون بعض النساء غير ناقصات العقول؛ لأنَّ النقيضين لا يجتمعان وهي قضية بديهية.

إذن ليس جميع النساء ناقصات عقل، كما أنَّه ليس جميع الرجال بكامل العقل.

إذن ثبت أنَّ عقلية الرجل والمرأة في تقبُّل العلوم واحدة، وهذا ما أثبتته العلم ولم يذكره القرآن الكريم، أي أنَّ القرآن لم يشير إلى نقص في عقل المرأة، وهي متساوية في ذلك مع الرجل، بل جعل بعض النساء في قِمة المعرفة العقلية من خلال ما ضرب الله ﷻ من أمثلة على ذلك وأرادها قدوة للناس، كآسية امرأة فرعون عندما وصلت إلى المعرفة الإلهية [انظر: مطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، ص 11] وقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم: 11] و﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة التحريم: 11].

التقريب على مستوى العقل العملي

إنَّ العقل العملي مبدأً للدوافع والمحفَّزات، لا الإدراك، وهو السبب في تحصيل الشوق للإتيان بالعمل، وهو كالعقل النظري مشترك بين المرأة والرجل ولا يختلف بينهما، ولكنَّ العقل العملي في نزوعه نحو العمل يتأثر بقوة في النفس، كالقوتين الشهوية والغضبية والانفعالات النفسية كالمشاعر والعواطف وغير ذلك من الأمور التي تؤثر عليه في ترجيحه لإحدى كفتي العمل. هذه

العوامل المؤثرة على العقل العملي تختلف في الشدة والضعف بين الرجل والمرأة؛ وذلك بسبب بسبب اختلاف الوظيفة الحياتية لكل منهما في ضمن النظام الأصلح للخلق، وبناءً على هذا يمكن القول بأن الروايات التي تتضمن إيماءً أو تصريحاً بانتقاص من قيمة المرأة هي على العموم تؤدي أدعين اثنين:

الأداء الأول: الحكم الشرعي.

الأداء الثاني: تصوير الإطار العام للنظرية الإسلامية عن مكانة المرأة.

ولو غرضنا النظر عن الأسناد الضعيفة التي وردت في شأن نقص عقل المرأة، فإن المتون نفسها لا تعدو أن تكون إشارة إلى العقل العملي، أي التذكر والقدرة على التدبير والإدارة. [فضل الله، المرأة والولاية السياسية والقضائية، مجلة فقه أهل البيت، ص 79]

إن العاطفة تحتل مساحة أكبر من نفس المرأة وشدة عواطفها وأحاسيسها تسبب قلة السيطرة على نفسها؛ ولا شك أن السيطرة على المشاعر والعاطفة هي أولى شروط التفكير السليم، على عكس الرجل في هذا الأمر. [انظر: مصباح اليزدي، أسئلة وردود، ص 353]

ومن نافل القول إن الناس يتفاوتون فيما بينهم في العقل العملي، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، طبقاً لتجاربهم واهتماماتهم في الحياة، فالفلاح في عمله قطعاً هو أكثر خبرة من الطبيب، والأخير يمتلك موهبة - بسبب عقله التجريبي في نوع عمله - لا يرقى إليها غيره. وقد يكون هذا الطبيب امرأة فستكون في مجال عملها أفضل من المهندس الرجل، وعلى أساس ذلك يمكن القول إن التجربة الإنسانية الطويلة أثبتت أن اهتمام المرأة على الأغلب يكون ضمن شؤون الأسرة والبيت وتدبير المنزل، واهتمام الرجل وتجربته في شؤون السياسة والحكم والحرب وغير ذلك، دون أن يعني ذلك عدم بروز أحدهما في بعض الأحيان فيما هو من اختصاص الطرف الآخر؛ إذ قد تبرز بعض النساء في الحكم والسياسة أحياناً.

وبالتالي نخلص إلى ما يلي:

1- أن القضية بعيدة عن العقل النظري، بل هي راجعة للعقل العملي.

2- أن القضية هي على نحو الموجبة الجزئية في كلا الطرفين (النساء والرجال).

فإن المرأة إذا تلقت التعليم والتكوين الصحيح، وتربّت تربيةً صحيحةً من خلال البيئة والظروف الملائمة التي تساعد على التربية القويمة، وأصبح بمقدورها التدبر والتفكير بطريقة منطقية، مستخدمةً بذلك عقلها السليم، فلا فارق بينها وبين الرجال.

فإن المرأة المستعدة إذا دخلت إلى الجامعة أو الحوزة والأماكن التي تستطيع أن تقدم من خلالها خدمة وتبرز ما عندها من استعداد، وتحصل على معرفة الآخرة وسائر القضايا الإسلامية

المشتركة، ويصبح بميسورها تعليم الدين وتبليغه كما يفعل الرجال الملتزمون، فهل يمكن القول بأن الروايات والأحاديث التي جاءت تذم النساء وتحذر من مشورتهم والأدلة المطروحة بشأن نقص عقولهن تشمل الفئة السالفة من النساء؟ [انظر: جوادي أملی، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص 35] كالحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول: «يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال» [نهج البلاغة، الخطبة 27؛ ابن بابويه القمي، معاني الأخبار، ج 2، ص 182؛ الكليني، أصول الكافي، كتاب الجهاد، ص 70].

وقوله عليه السلام: «إياك ومشاورة النساء؛ فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهم إلى وهن» [نهج البلاغة، الرسالة 31].
وقوله في خطبة طويلة له: «... وتحكيم النساء نواقص العقول...» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 3، ص 179؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 51، ص 344].

فلا يمكن أن نقول إن هذه الأحاديث تخصّ حتى المرأة العاملة التي توقّرت فيها شروط العلم، وحصلت على ما حصل عليه الرجال من النبوغ الفكري. وكذلك لا يمكن القول إن عقول هؤلاء النساء هي كعقول الأطفال لمجرد أنوثتهم وكونهن نساءً في مجال العقل النظري. [انظر: جوادي أملی، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص 35]

وإن هذه الأحاديث مطلقة، ونتيجة الأغلبية الناتجة عن الحرمان البعيد عن ميدان التعليم، وحرمان هذه الطائفة من التربية الصحيحة، ولو توقّرت الظروف السليمة لاستطاعت أن تقلب الغلبة؛ إذ إن هذه الأحاديث ليست ثابتة الأحكام مثل أحكام العفاف والحجاب وغيرها التي لا يمكن بمرور الزمان وتغيّر المكان أن تتغيّر أحكامها، وإنما هي تتعلّق بنمط التربية ووضع البيئة، فذكاء بعض النساء ونبوغهنّ له قدمة تاريخية. [المصدر السابق، ص 35]

المطلب الخامس: المساواة بين الرجل والمرأة في الاستعداد الروحي

راق لي ذكر رأي العرفاء الذين نظّروا لقضية مكانة المرأة، وإن كنت أخالفهم في طريقة الاستدلال، فمدرسة العرفاء مدرسة عريقة، ولا أرى من الصحيح المرور على ما ذكره مرور الكرام! فانطلاقاً من قول ابن عربي: «اعلم أنّ المرأة باعتبار الحقيقة عين الرجل، وباعتبار التعيّن يتميّز كلّ منهما على الآخر» [ابن عربي، فصوص الحكم، ص 67]. ونلاحظ أنه يشير إلى عدم التمايز بين الرجل والمرأة؛ لأنّ الحقيقة الإنسانية واحدة، والتمايز يكمن في التعيّن والتشخص، وبالتالي هما متساويان في الرقيّ العرفاني والوصول إلى المقامات العلوية في عالم معرفة الله والعلاقة بالله جلّ جلاله، ويقول ابن عربي: «إنّ هذه المقامات ليست مخصوصة بالرجال؛ فقد تكون للنساء أيضاً، ولكن لما كانت الغلبة للرجال تذكر باسم الرجال» [المصدر السابق].

ولوسلّمنا بهذه الغلبة التي يقرّ بها ابن عربي، فلنا أن نتساءل هل هذه الغلبة في نيل المقامات العرفانية ذاتية أم عرضية، أي هل يوجد في أصل خلقة المرأة أنّه ليس من شأنها نيل المقامات العرفانية؟

والجواب بالنفي حتمًا؛ لأنّه لا يوجد ولا دليل واحد على ذلك، بل إنّ هناك عوامل وظروفًا خارجية هي التي أدّت إلى تقدّم الرجال على النساء، وأخصّ بالذكر عوامل التربية والبيئة المحيطة، فالتربية في الأسرة قائمة على فكرة الترتيب المتأخّر للبنات، أي أنّ شأنها الذي لا تفقه غيره هو عمل البيت وخدمة الآخرين في العائلة، فليس شأنها العبادة، بل خدمة العابدين! وليس شأنها التفكير، بل خدمة المفكرين! وليس شأنها الحكم، بل خدمة الحاكمين! ولم يعطوا مجالاً للمرأة، بل حبسوها في البيت ومنعوها عن العلم والتعليم، ثمّ قالوا: حيوان لا يفهم!

ووفقًا لابن عربي فإنّ المرأة أكمل من الرجل في مظهريتها لأسماء الله تعالى وصفاته؛ لأنّها مظهر لطرفي الفعل والانفعال، بعكس الرجل الذي يكون مظهرًا للقبول والانفعال فقط، وكلّما كان المظهر جامعًا للأسماء والصفات الإلهية، كان أكمل في مظهريته لله تعالى، وبالتالي صارت محبوبة الرسول الكريم ﷺ وكما نقل عنه: «حبّ إليّ من دنياكم الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 73، ص 141].

فمن شروط نيل الخلافة عند ابن عربي - أي خلافة الله في العالم - الاتّسام بالكمال والإنسانية والصورة الإلهية؛ لذلك ليس من حقّ كلّ إنسان أن يكون خليفة، ثمّ إنّ هذا المقام غير مقتصر على الرجال؛ لأنّ المعيار هو الإنسانية، بل أقصى درجات الإنسانية، وهذا ممّا يمكن للنساء كما الرجال، فليس المعيار هو الذكورية. فالذكورية والأنوثة ليستا من الحقائق الإنسانية، وإنّما من أعراضها؛ ولذلك قال الرسول محمد ﷺ: «كمل من الرجال كثير، وكلت من النساء مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة وفاطمة» [انظر: ابن عربي، رسائل ابن عربي (عقلة المستوفز)، ص 7]. وقد أثبت ذات الرأي في "الفتوحات المكيّة" عندما صرّح بأنّ الحقيقة الإنسانية الواحدة لا تجعل للرجل على المرأة أيّ درجة من هذه الحيثية. [انظر: ابن عربي، الفتوحات المكيّة، ج 3، ص 87؛ انظر: قنبري، المرأة في التراث العرفاني، ص 59]

المبحث الثالث: مكانة المرأة في بعض الآراء الفلسفية

المطلب الأوّل: موقف أرسطو من المرأة

إنّ موقف أرسطو من المرأة ينطلق من نظريته المعرفية للوجود، وانعكاس نظريته للعالم على القضية الأخلاقية والاجتماعية؛ إذ إنّ هناك هرمية وجودية تنظّم العالم، فالكون مرتّب بشكل

تسلسل تصاعدي من أدنى موجود إلى أعلاه، فالجماد أدنى مراتب الموجودات يقوم على خدمة النبات؛ إذ إنه يتغذى من المواد الموجودة في التربة، والنبات موجود لصالح الحيوان، والأخير لصالح الإنسان، فالحيوانات المستأنسة موجودة لتأمين غذائه، والحيوانات البرية موجودة لتأمين كسائه وأدواته المختلفة، وكل ذلك من فعل الطبيعة، وهي لا تفعل شيئاً باطلاً، فجميع الموجودات ضمن التسلسل الهرمي في خدمة الإنسان؛ لأنه أعلاها، فهو يترجع على قمة السلسلة تحت فلك القمر. [انظر: إمام، أرسطو والمرأة، ص 29]

هذه الهرمية التصاعدية الوجودية لا بدّ بحسب أرسطو أن توجد في الحالة الاجتماعية، فلا بدّ من تقسيم البشر إلى درجات يعلو بعضهم بعضاً، فهناك هرمية بين الشعوب، فالطبيعة تميل لإيجاد هذا التمايز، فهناك من هو قليل الذكاء وبعضهم شديده، وهناك من هو قويّ البنية وهناك ضعيفها، وهكذا، وهذا ينعكس على الناس؛ فيوصم بعضهم بأنهم أحرار بالطبع، وبعضهم عبيد بالطبع. إذن لا يقرّ أرسطو مبدأ المساواة بين جميع أبناء النوع الإنساني، فالهرمية الاجتماعية والسياسية، قد أقامت ثنائيةً في كلّ شيء تقريباً، وتعارضاً بين شيئين، بين الأعلى والأدنى، بين النفس والبدن، بين العقل والشهوة، بين الإنسان والحيوان، بين الذكر والأنثى ... وهذا ليس فيه نقص، بل هو لصالح الاثنين معاً. وبالتالي يسود مبدأ الحاكم والمحكوم، فالموجودات الجامدة هي الأدنى؛ ولهذا تقع تحت سلطان الكائنات الحيّة؛ ولهذا كانت الأولى في سلم الطبيعة؛ لأنها تتألف من عنصرين (النفس، الجسد)، والأول بطبيعته حاكم والثاني بطبيعته محكوم. والعقل يحكم الشهوة، وهذا في غاية الروعة والفائدة، فمن صالح البدن أن تتحكم فيه النفس، ومن المفيد أن يتحكم الجانب العقلي في النفس، وأما لو حصل العكس، فسوف يعود بالضرر عليهما.

وباختصار لقد قام أرسطو بتوظيف مفاهيم الفلسفة مثل المادة والصورة، والحركة والمتحرك، والوجود بالقوة والوجود بالفعل، وفكرة الوظيفة، في التمييز بين الذكر والأنثى. [انظر: المصدر السابق، ص 30 - 32]

ووفق هذا التنظير فإنّ المرأة أقلّ مرتبةً من الرجل؛ باعتبار أنّه حدث الانحراف الأول في الطبيعة بظهور الأنثى؛ لأنّ الأصل أنّ الطبيعة تنتج الذكور. [انظر: المصدر السابق، ص 61]

ولقد انعكست آراء أرسطو الوجودية على المرأة، ليس من حيث ما يفترضه من مرتبتها الوجودية المتدنية نسبةً إلى الرجل فحسب، بل وعلى حياتها السياسية أيضاً، فلا يحقّ للمرأة ممارسة السياسة؛ لأن الجانب اللاعقلي في نفس المرأة متغلب على الجانب العقلي، وهذا من فعل الطبيعة التي جعلت الإناث ذوات عاطفة متغلّبة. وبالتالي فإنّها لا تصلح للعمل السياسي الذي يتطلب الابتعاد عن الميول العاطفية في اتخاذ القرارات.

ولكن تقرّر برهانياً أنّ الخلاف بين الذكر والأنثى ليس في الماهية؛ لأنّ ماهية الإنسان واحدة وهي (الحيوانية الناطقية)، فالمنطق يحكم على الأشياء من خلال فصولها المنطقية وحدودها الماهوية، ولا يدّعي أحد من الفلاسفة أنّ المرأة ليست بإنسان، وإذا كانت إنساناً فمن الضروري أن ينطبق عليها تعريف الإنسان. فالاختلاف إذن بين الذكر والأنثى ليس ماهوياً، بل وجودي، وهو تابعٌ لنحو وجودها ومحكوم بالأعراض التسعة المشخّصة للوجود. ولا يدّعي أحد أنّ العمل السياسي عرض مختص بالرجل، بل هو نوع من أنواع المهارات الحياتية التي يمكن لكلا الجنسين القيام بها، مع عدم إنكار أنّ الرجل ربّما يقوم بها على نحو أفضل في أغلب الأحيان، فهي أميل إلى جانب الذكور.

المطلب الثاني: التراث الفلسفي المسيحي

إنّ الفكرة الأساسية التي وردت في العهد القديم عن المرأة من وجهة نظري هي المسؤولية عن تردّي وضع المرأة، تلك النظرة القائمة على نظرية أنّ حواء خلقت من ضلع آدم، وأنّ أصل البشرية ليس إلّا من آدم، أي من الذكر⁽³⁾. وهذا سيوقع من يخالف هذه الفكرة في معضلة الاختيار الحتمي بين الدين واللادين؛ لأنّ الدين وفقاً لهذا السياق هو المسؤول عن التخلف الذي أصاب العقول في النظر إلى المرأة، وليس هناك من طريق للخلاص من هيمنة هذه الفكرة إلّا بنزع رداء الدين. إنّ هذا ما تلاحظه عند القديس بولس [إمام، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص 51]؛ إذ إنّ فكرة القديس بولس عن المرأة تتّضح بنقل كلامه إلى أهل كورنثوس عندما قال: «فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْطَى رَأْسُهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللَّهِ وَمَجْدُهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ» [1 كو 11: 7]، «لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا» [1 كو 11: 10].

وبولس يشابه أرسطو في كونه يضع المرأة وضعاً متدنّياً في نظام الوجود، لكنّه ذهب إلى أكثر من ذلك حينما صبغ هذه الفكرة بصبغة دينية. [المصدر السابق، ص 53]

وأوغسطين (Augustine of Hippo) ليس ببعيد عن الفكرة المزبورة، فتجده يقول:

نرى الإنسان في آخر المطاف قد خُلق على صورتك وشبيهاً لك، ويحكم جميع الحيوانات التي لا عقل لها؛ ولهذا السبب خلق على صورتك وشبيهاً لك، أي لأنّ لديه قوى العقل والفهم. وكما أن هنا قوتين في نفس الإنسان إحداها مهيمنة لأتھا تفكر، والأخرى مطيعة لأتھا مشمولة بهذه الهداية، كذلك المرأة خلقت للرجل من حيث الجسم. فالمرأة من حيث الذهن لديها طبيعة مماثلة

3- «فَأَوْقَعَ الرَّبُّ إِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَتَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ إِلَهُ الصُّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ أَمْرِي أُخِذَتْ» [سفر التكوين: 2: 21 - 22 - 23].

للرجل، ومن حيث الجنس والجانب الجسماني فإنّها تابعة للرجل. وبنفس الطريق يجب أن تخضع فيها حركاتنا الطبيعية للقوّة الذهنية الاستدلالية؛ من أجل أن تقع تلك الأعمال التي تتمّ بواسطتها تلك الحركات، تحت إلهام أصول السلوك الحميد.

واستدلاله قائم على أساس أنّ الرجل ذو عقل قويّ والمرأة ضعيفة العقل؛ لذلك لا بدّ للمرأة من اتباع الرجل وطاعته، وهذا أمر - كما يقول - تابع لنظام التكوين. وأمّا الزواج فهو شرٌّ لا بدّ منه لأولئك الذين من الممكن أن يخرجوا من طريق التقوى بفعل الأهواء النفسانية. إنّ الزواج يجعل الرجل دنيويّاً والعزوبة تجعله إلهيًّا.

وليس توما الأكويني (1225 - 1274) ببعيد عن هذا السياق في التنظير، ففي كتابه "الخلاصة اللاهوتية" يعتقد أنّ المرأة خلقت من الرجل، ويعتمد أيضًا على رواية العهد القديم، فمثلما أنّ الله ﷻ مبدأ كلّ العالم، فكذلك الرجل الأول مبدأ كلّ النوع البشري [أنظر: راسخي، المرأة من خلال المعرفة اليهودية، مجلّة المحبّة، العدد 12، ص 148 و 147]. وباختصار لا يختلف فكر الأكويني عن فكر بولس.

ويلاحظ ممّا ذكر في المقام أنّ الجنس والكمون الشهواني هو الذي يحرك أفكار بعض الفلاسفة ورجال الدين نحو المرأة ووضعها في النظام الإنساني العام؛ ووفقًا لذلك نستطيع معرفة حقيقة بعض النصوص التي أطلقها بعضهم، مثل بولس الذي يقول: «لِتَضُمْتُ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْدُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا. وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِيدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا، فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كَنِيسَةٍ» [1: كو: 14: 34 و 35].

وممّا يساعد على ذلك تلك الفكرة التي تقول إنّ المرأة أصل الخطيئة، وهي الفكرة التي سيطرت ولم تزل تسيطر على الفكر الديني المسيحي واليهودي، بل وحتى العقلية العامية الإسلامية تأثرت بها، ومفادها أنّ المرأة أصل الغواية، وهي المسؤولة عن انحراف آدم وخروجه من الجنة. وحتى أنّ المرأة دائمًا ما تقترن بالحياة. [المصدر السابق، ص 16]

إنّ ما ذهب إليه هذا الفكر الانعزالي عن المرأة يخالف ما جاء به النبي عيسى ﷺ الذي كان يتحدث مع النساء والرجال عامّة، فلم يكن مستمعوه من الرجال وحسب، وكانت الجموع التي تتابعه رجالاً ونساءً، ويعالج الجميع دون استثناء، بتصريح القرآن إذ يقول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [سورة الزخرف: 63]، فلم يأت بالبيّنات ليؤمن به الرجال فقط، بل كان خطابه عامًّا.

المبحث الرابع: المكانة الوجودية للمرأة في الفكر الإسلامي

الإسلام ملزم بالإجابة على الأسئلة الحضارية الكبيرة من قبيل: ما مكانة المرأة في الإسلام بوصفه شريعةً ونظامًا وجوديًا متكاملًا؟ وهل تكفي الأجوبة التسكيتية أمام الآخر الثقافي والفكري، أم لا بدّ من تحديد نظري متناسق مع آليات عملية تتحوّل إلى واقع معاش سلوكي يومي في كلّ الاتجاهات؟ وهل تستطيع الفلسفة الإسلامية التخلّص من عبء الفلسفة اليونانية والتراث الروماني اللذين حطّان قيمة المرأة؟ [النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون.. قراءة في محاورتي الجمهورية والقوانين، ص 11]

المطلب الأوّل: المرأة في القرآن الكريم

أخذت المرأة في الفكر الإسلامي مكانتها الواقعية الجديرة بها المستندة إلى نصوص الشريعة، ولن نجد دينًا أو اتجاهًا فكريًا أنصف المرأة كما الإسلام؛ فلقد أجاب الإسلام عن السؤال الحضاري الكبير، ورفع عن كاهل المرأة أثقال مئات السنين من الظلم والحيف؛ إذ فكّك القرآن الكريم ذلك الإشكال الفكري المتضمّن تهمةً أزريةً للمرأة، ألا وهي قضية تحمّلها لوحدها وزر الخروج من الجنة! جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾. [سورة البقرة: 36 - 35]

والآيتان صريحتان بأنّ الخروج من الجنة كان بسبب رضوخ كلّ من آدم وحواء لتسويات الشيطان، وأنّ الشيطان هو المسؤول عن الغواية. وكلاهما (آدم وحواء) مسؤولان عن الخروج من الجنة، بل وأكثر من ذلك، فإنّ القرآن جعل مسؤولية التوبة على عاتق آدم ﷺ؛ لذلك تجد القرآن يقول: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37].

ولقد جاء في التراث الإسلامي أنّ السيّدة الزهراء ﷺ خرجت تدافع عن تراث النبوة والدين الذي أصابه الانحراف، وواجهت الظالمين المستبدّين ودافعت عن زوجها وإمامها، ووقفت خطيبةً أمام الناس والحكّام، وخطبت فيهم خطبةً حماسيةً لم يأت أحد بمثلها إلى اليوم. [انظر: الطبري، دلائل الإمامة، ج 9، ص 111 - 125؛ ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص 247؛ ابن طيفور، بلاغات النساء وطرائف كلامهنّ، ص 5 وما بعدها؛ الجوهرى، السقيفة وفدك، ص 71 وما بعدها؛ السيّد المرتضى، الشافي في الإمامة، ج 4، ص 71]

ثمّ أتت بعد ذلك ابنتها السيّدة زينب لتتحلّل مسؤولية الدين والمجتمع، فشاركت في الحرب مع أخيها وقائدها الإمام الحسين ﷺ، فكانت لها مواقف نادرة في تاريخ البشرية في يوم عاشوراء وبعده أمام الدكتاتور. [ابن طيفور، بلاغات النساء وطرائف كلامهنّ، ص 10 وما بعدها؛ ابن مخنف، مقتل الحسين، ص 77]

ويتّضح من ذلك أنّ التراث الإسلامي لا يهين المرأة ولا يحتقرها ولا يركنها أثاثاً مهماً في البيت، بل أوصلها إلى درجة أن تتحمّل مسؤولية دين بأكمله، وهذا يظهر أيضاً في نظر الإسلام إلى التراث السابق عليه، مثل نظره إلى آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وبلقيس ملكة سبأ، كما مرّ بنا قبلاً، فإنّ آسية تحمّلت عبء التوحيد ومقارعة زوجها الحاكم، وتحمّلت في ذلك أنواع العذابات ممّا لا يمكن لرجال أشداء تحمّله؛ لذلك قال ﷺ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم: 11].

وأما الثانية فهي السيّدة مريم عليها السلام التي وقعت في محنة اجتماعية ودينية، وتحمّلت ثقل نبوة ودين من خلال إنجابها الإعجازي غير المسبوق، ووقفت أمام المجتمع اليهودي لا تمتلك إلا إيمانها وابنها النبي، فكانت هداية البشرية بأجمعها من خلال امرأة ضعيفة في بدنها قوية في دينها، وأيضاً هذا كلّ في ظلّ سيادة الثقافة الرومانية التي لا تحترم المرأة، ولا تكن لها أدنى مكانة. وأما بلقيس، فهذه مكانتها في القرآن الكريم؛ إذ قد مدحها ولم ينقض عليها بأنّها حاكمة وملكة وتقود الناس؛ لذا قال ﷺ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةً بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة النمل: 35 - 29].

نعم، هناك قضية الأفضلية⁽⁴⁾، أي أنّ من الأفضل والأحسن والأجمل للمرأة أن تتجنّب الاختلاط، والفلسفة القرآنية هنا جميلة جداً عندما يذكر: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب: 32].

فالنص القرآني يذكر أنّ الأفضل للنساء بشكل عامّ الابتعاد عن مخالطة الرجال؛ لأنّ هؤلاء الرجال فيهم من هو منحرف النفس والنظر، فوصفه أنّ في قلبه مرضاً، والقضية هنا منطقياً مهمة، وفي المنطق تكون القضية غير المسورة بسور (الكليات والعمومية) بقوة الجزئية، أي أنّ بعض الرجال - لا كلّهم - في قلوبهم مرض الانحراف والشبق الجنسي، والذين ينظرون للمرأة على أنّها جسد يشعروهم باللذة الحسية الجنسية. وبذلك برأ القرآن الكريم ساحة النساء من الانحراف الأخلاقي أو النفسي، وألقى بقضية اجتناب الاختلاط على عاتق الرجال.

4- لم تتطرّق المقالة إلى الجوانب العديدة التي أنصفت فيها الشريعة المرأة؛ لأنها تحتاج إلى مقال مستقلّ، كما لم يتناول الأمور الفقهية الخاصة بالمرأة.

إذن ينبغي قراءة التراث الإسلامي بعيداً عن مسارات بعض المحكومين بعقد الجنس والتربية الذكورية الخاطئة، كما نرى ذلك في شخصية أوغسطين، الذي كان قبل مسيحيته منغمساً في الملذات الحسية الجسدية، وكان معاشراً لامرأة معاشرة الأزواج لأكثر من عشر سنين، وقد أنجب طفلاً منها من الزنا [انظر: إمام، الفيلسوف المسيحي، ص 117]؛ لذلك كانت ردّة فعله قويّة تجاه المرأة وحمل صنف النساء كلّ خطيئاته وآثامه.

وحتى بعض أهل القلم اليوم لا يأخذون بالنصوص الدينية من القرآن والسنة في موقفهم من المرأة، بل يستوحون من تربيتهم الخاطئة في بيوتهم موقفهم من المرأة، وكذلك من الإيحاءات الجنسية التي تعتمل في نفوسهم، ويعدّون المرأة مسؤولة عن ذنوبهم الجنسية!

وهذا حال الإنسان بشكل عام؛ فهو يحبّ دائماً أن يلقي بتبعة أخطائه على الآخرين، وهذا الأستاذ مطهري يقول: «المعيار الأساس في مجتمعنا هو الشعار، ولا شغل لنا بالعمل والروح... مجتمعنا علوي شعاراً وضدّ عليّ مضموناً!... والويل الويل لمن يريد أن يكون علوياً في صراحته وصلابته، ويقدم الإسلام على المشايخ... أردت أن يمسكوا بأيديهم الجاقة مرآة لينظروا ماذا حلّ بالإسلام والمسلمين جرّاء أفكارهم المغلوطة... [بما] لا ينسجم مع الإسلام ولا الإنسانية، ذلك التصوّر الذي يحكم على المرأة بالحبس المؤبد، والحرمان من التعليم ومن كلّ كمال تحت شعار المحافظة على العفة، فيؤدي ذلك الحبس إلى أن لا يكون للمرأة مشغلة غير إطفاء شهوة الرجل وخدمته» [مهريزي، مسألة المرأة.. دراسات في تجديد الفكر الديني في قضية المرأة، ص 137].

فينبغي التفكيك بين ما هو من الدين وما هو طارئ عليه من الفكر الإنساني الذي كثيراً ما يكون متأثراً بالظروف الذاتية والموضوعية للإنسان.

ووفقاً لزي الميلاذ، فإنّ هناك هدفين لهذا التفكيك يتمثّل الأول بعدم تفسير طرح الآراء الجديدة بأنّه خروج على الدين وانزياح عن مبادئه، وأمّا الثاني فيكمن في وجود مسافة آمنة في نقد تلك الأقوال من قبل الناس؛ كي لا تفهم على أنّها نقد للدين ذاته، بل للنظريات المتبلورة ضمن الفكر الإنساني القابل للاجتهاد والتطور بحسب مقتضيات الزمكان، وبهذا تتمّ عملية الموازنة بين الثابت الديني ونسبية المعرفة الإنسانية. [انظر: زي الميلاذ، الإسلام والمرأة.. تجديد التفكير الديني في

مسألة المرأة، ص 234 و 233]

إنّ الخطاب الإلهي في القرآن الكريم تميّز بصفة الشمولية والإطلاق للمخاطب والمكلف، سواء كان رجلاً أو امرأة.

ولو مررنا بشكل سريع على الآيات التي تخصّ جانب التكاليف الشرعية أو الجوانب العقديّة

وقضية الإيمان أو اجتناب الشرور والمعاصي والجوانب الأخلاقية وطرق التكامل الإنساني والعروج في مراتب السعادة والتماس الرضا الإلهي، لتبين أنها لا تختص بالرجل وحده أو بالمرأة وحدها. كما نجد أنّ القرآن الكريم ردّ بوضوح وبشدة على عقائد الأمم السابقة والأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية [انظر: مصباح اليزدي، أسئلة وردود، ص 342]، وما كانوا يعتقدونه بشأن المرأة، وما نتج عن هذه العقائد من مأساة حقيقية للمرأة والمجتمع عمومًا، فالإسلام أرجع المرأة إلى وعيها بإنسانيتها، وأثبت أنها تستطيع أن تعرج نحو الكمال المفترض للبشرية، سواءً من الناحية الدينية أو الدنيوية، وهذه الفروق بين الجنسين ما هي إلا إرادة إلهية داخلية ضمن النظام الأصلح في الحكمة الإلهية.

فإنّ الله ﷻ خلق الإنسان من جوهر واحد ومادة واحدة، ولو كان هناك فوارق في الجوهر لذكرت في القرآن الكريم، وجاءت فيها روايات واختلفت التكاليف واختلف الجزاء والعقاب وغيره تبعًا لاختلاف الخلقة وعدم التساوي في المادة والجوهر، ولكن القرآن الكريم ذكر وبصراحة تساوي خلقه الرجل والمرأة واتّحدهما في الجوهر. ومن هذه الآيات:

1- ما جاء في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: 1].

2- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [سورة الحجرات: 13]. فهذه الآية والآيات التي سبقتها تبين بكلّ وضوح اتّحاد الناس من حيث الحقيقة، وأنّهم خلقوا من أصل واحد، وتشعّبوا من منشأ واحد. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ص 140]

3- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: 5]

أمّا هذه الآية فهي تنفي كلّ فرق بين أنواع الجنس البشري كما يقول السيّد الطباطبائي: «من حيث تكون كلّ واحدٍ منهم من أب وأمّ إنسانين، فلا ينبغي أن يتكبر أحدهم على الآخر إلا بالتقوى» [الطباطبائي، تفسير الميزان، ص 149].

المطلب الثاني: المرأة في الروايات

إنّ ما يهمّنا في البحث هو خصوصية الإجابة عن قضية خلق المرأة، وقد يقال بوجود روايات تدلّ على أنّ حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر، ولكن يمكن أن يردّ على ذلك:

1- أنّ سند تلك الروايات غير موثّق. [انظر: الطوسي، مجمع البيان في تفسير القرآن؛ المجلسي، بحار الأنوار،

ج 11، ص 21]

2- موافقة هذه النصوص للتوراة المتداولة.

3- هناك روايات تناقض أمثال هذه الروايات، كما عن زرارة بن أعين أنّه قال: «سئل أبو عبد الله عن خلق حواء وقيل له: إنّ أناساً عندنا يقولون إنّ الله ﷻ خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى! فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً! يقول: من يقول هذا؟ إنّ الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجةً من غير ضلعه؟! ويجعل للمتكلّم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن يقول: إنّ آدم ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه! ما لهؤلاء؟! حكم الله بيننا وبينهم» [الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ص 209].

وقد علّق مصنّف كتاب "من لا يحضره الفقيه" على الروايات التي تقول إنّ حواء خلقت من ضلع آدم بقوله: «الأصل في رواية خلق حواء من ضلع آدم العامّة وورد الطعن فيها» [المصدر السابق، باب ميراث الخنثى، ص 4].

إذن يتبيّن من هذا كلّ أنّ المرأة إنسان كالرجل تماماً، لا يختلف في جوهرها مع الرجل، «وأنّ ثمة فوارق بين الرجل والمرأة من شأنها تنوع الآثار في الحياة الاجتماعية، وبناءً على هذا فإنّها تقتضي اختلاف الحقوق والواجبات الاجتماعية في الجملة» [مصباح اليزدي، أسئلة وردود، ص 346]. والروح التي خلقها الله ﷻ واحدة، وجعلها في الإنسان ذكراً أم أنثى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة الحجرات: 29].

لذلك فإنّ الجسم مجرّد اختلاف في التكوين المادّي، أمّا الروح فهو جوهر واحد بينهما، فالمرأة ليست متطفلةً على الرجل.

الخاتمة

للمرأة مكانتها الوجودية المنفعلة عن الإرادة الإلهية في بداية نشأة الخليقة، فهي شريكة الرجل في الاستخلاف الإلهي على الأرض، وتتساوى مع الرجل في الماهية والحقيقة الإنسانية، وكذلك تتساوى معه في القابليات المعرفية والذهنية، فلا يوجد إلا ما اقتضته الإرادة الإلهية من اختلاف في أصل الخلقة بما يؤدي إلى التكامل الوظيفي في الاستخلاف وضرورة البشرية والنوع الإنساني، وهي اختلافات جسدية ونفسية واضحة، وفوارق في القابليات والمقتضيات، وهذا لا يعني أبداً فرقاً في المرتبة الوجودية كما ادّعاها بعض العلماء من مذاقات شتى عرفانية أو فلسفية أو دينية. ولم يكن منتج الأفكار في عصر الحداثة وما بعدها أحسن حالاً من سابقهم في النظرة إلى المرأة، فهم ما بين إفراط وتفريط، فجانب التفريط أساء إلى المرأة عندما حكم بأن الإستمولوجيا التقليدية قامت على مركزية العقل، وأن النساء غير مؤهلات عقلياً لممارسة التفكير المجرد والموضوعي، وأن المعرفة التي ينتجها الذكور انعكس لممارسات العلم المنتج ذكورياً، وأن الإنتاج المعرفي لا ينفك عن الفئوية الاجتماعية، وينتج عن كل ذلك إستمولوجيا أحادية الجانب. وأما الجانب الإفراطي فنظر إلى المرأة نظرتة إلى الرجل بتصور أن ذلك انتصار لها وتبلور نتيجة لذلك المذهب النسوي المشوّه فكرياً ومعرفياً.

ومع كل ذلك فإن من الفلاسفة والعرفاء وعلماء الدين من أنصف المرأة وفلسف مكانتها الوجودية، ولا بد من التفريق بين الدين وبين ما يفهم من الدين، وهو فهم متأثر بكثير من الظروف والملابسات. ومع الأسف أن النظرة إلى المرأة دينياً متأثر بعاملين هما: بعض نصوص الكتاب المقدس المهينة لحواء عليها السلام وعامل الجنس.

ولم ينصف المرأة إلا دين الإسلام وفكره الواضح، الذي بين مكانتها وحقوقها وواجباتها، وجاء ذكر أمثلة في القرآن الكريم لنساء مثّلن أعلى رتب الفضيلة والفكر والوعي.

قائمة المصادر

- إمام، عبد الفتاح، الفيلسوف المسيحي والمرأة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة.
- ابن بابويه القمي، محمد بن علي، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1361 ش.
- ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، مطبعة الخيام، قم، 1399 ش.
- ابن طيفور، بلاغات النساء وطرائف كلامهن، مطبعة مدرسة والد العباس الأول، 2012 م.
- ابن عربي، رسائل ابن عربي (عقلة المستوفز)، تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح، مؤسسة الانتشار العربي.
- ابن مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد، مقتل الحسين، منشورات المكتبة العامة لآية الله المرعشي.
- الجوهري، أحمد بن عبد العزيز، السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة.
- الحاجي، جعفر عباس، جينالوجية كينونة الإنسان الكامل، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.
- الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، 1404 هـ.
- الراسخي، فروزان، المرأة من خلال المعرفة الشهودية، مجلة المحجة، العدد 12، معهد المعارف الحكمية، 2004 م.
- السيد المرتضى، علي بن الحسين، الشافي في الإمامة، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة الصادق، طهران، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
- الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- الطبري، محمد، تاريخ الطبري، بيت الأفكار الدولية، 2009 م.
- الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، مؤسسة البعثة.
- الطوسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للتحقيق والنشر، بيروت.
- العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء، دار السيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م.
- العزيمي، خديجة، الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، ط 1، 2005 م.

القيصري، محمد داوود، شرح فصوص الحكم، شركت انتشارات علمی و فرهنگی، ایران، 1375 ش.

المجلسي، محمداقر، بحار الأنوار، وزارة الإرشاد الإسلامي، إيران، 2017 م.
المظفر، محمدرضا، المنطق، مطبعة النعمان، بغداد، 2016 م.
الميلاد، زكي، الإسلام والمرأة.. تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2008 م.
النشار، مصطفى، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون.. قراءة في محاورتي الجمهورية والقوانين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

الهلال، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمداقر الأنصاري الزنجاني، مركز الأبحاث العقائدية.

اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة، 1995 م.
الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، دار المحجة البيضاء، بيروت.
جهانگیری، محسن، محي الدين بن عربي، تعريب: عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، ط 1، 2003 م.

جوادي آملي، عبد الله، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ترجمة: خليل العصامية، دار الإسراء للنشر، قم، 1428 هـ.

فضل الله، محمدحسين، المرأة والولاية السياسية والقضائية، مجلة فقه أهل البيت عليه السلام.
محمد بن سباع، نقد الخطاب الذكوري عند بيار بورديو، ضمن مجموعة مقالات بعنوان "الفلسفة والنسوية"، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، 2013 م.
مصباح اليزدي، محمدتقي، أسئلة وردود، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، 2015 م.
مطهری، مرتضی، نظام حقوق المرأة في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2011 م.
مهریزی، مهدي، مسألة المرأة.. دراسات في تجديد الفكر الديني في قضية المرأة.